النقد الموجّه

بقلم وديع فلسطين

من الاتجاهات الجديدة في الادب المعاصر . الدعوة الى الحاق الادب بوظيفة اجتماعية وتسخيره في خدمة المذهبيات والعقائد السياسية او « الايديولوجية » وجعل الادب مطية لاغراض لها بواقع الحياة صلة مادية ونقى. وهذا اتجاه ناباه اشد اباء ، ولا نرتضيه ايا كانت مسوغاته وشفاعاته ، لان الادب في جوهره انفعال ذاتي حر يتخذ الكتابة والكلام والغناء الشعري وسيلة للتعبير . فاذا ذهبت عن الادب خاصية الحرية ، وتجرد الاديب من انفعاله الذاتي، وانعدم عنصر الارادة الشخصية ، بات الادب كعرائض الشكاوى ، واصبح الاديب ككاتب العرائض ، يكتب ما يملى عليه دون وعي، رغبة منه في تحقيق غرض نفعي من اغراض الحياة .

وتحضرنا في هذه السانحة نماذج ثلاثة من الدعوة الى انغماس الاديب في المذهبيات والعقائد الفكرية ، والمناداة بوضع مقاييس للنقد تستمد من خارج الادب لا من صلبه دون ما نظر الى جوهرية الادب نفسه .

واول هاته النماذج ما قاله لطفي الخولي من ان « الفصل بين الادب والسياسة فصل غير طبيعي لا يهضمه واقع الحياة المعاشي والمتطور .. والادب في حقيقته هو التعبير الفني عن المجتمع محليا كان او عالميا . ومعنى هذا ان المادة الخام للادب والسياسة واحدة، وان اختلفت طريقة المعالجة، وبتعبير أخر فان المضمون الجوهري للادب هو بعينه المضمون الجوهري للسياسة . واذا كانت السياسة تتعرض لهذا المضمون بطريقة مباشرة فان الادب يتناوله بطريقة غير مباشرة ، اي بشكل فني ، وهذا الشكل الفني او الصنعة الادبية هي التي تميز العمل الادبي عن العمل السياسي»(١)

والنموذج الثاني هو ما قاله رجاء النقاش من ان مقاييس النقاد لم تعد فنية محضة ، بل صاروا ينظرون الى الفن من وجهة النظر الوطنية والسياسية ايضا (٢)

اما النموذج الثالث فيتمثل في الدعوة الجديدة التي تبناها ونادى بها وروج لها الدكتور محمد مندور ، وهي الدعوة الى ما سماه « النقد الايديولوجي » (٣) وذلك بان يوسع الناقد نطاق بحثه بحيث يشمل حاجات المجتمع وحياته .

وهذا التوجيه للادب والفن والنقد يجعل اعمال الفكر وفقا على ارباب المذهبيات العقائدية ، ويحظر على الاديب ضمنا ان يعالج القضايا الفكرية والفنية والادبية الا من زاوية السياسة ، ويخضع كل عمل ادبي او فكري او فني لقواعد ومقاييس ايديولوجية تنبو عن الادب نبوا تاما .

ولعل هذه النزعة الجديدة في الادب لم تتبلور في قالب مدرسي او اكاديمي الا عند الدكتور محمد مندور الذي جعل من « النقد الايديولوجي » نظرية فلسفية في الادب .

فمن رأي الدكتور مندور ان كل خلق فني ينبغي ان « يجند في خدمة الحياة » وان النقد ينبغي ان يضيف الى عنصري الذوق والجمال عنصرا ثالثا يفوقهما اهمية وهو « المصادر » ، اعني المصادر التي يستقى من معينها الادب والفن ، كمصادر « التاريخ والاساطير والتجارب الاجتماعية والتجارب الذاتية والخيال المبدع للحياة او الذي يجمع عناصره من جوانب الواقع » . ثم يمضي الدكتور مندور فيقول استطرادا : « والنقد الايديولوجي ينظر في كل هذه المصادر ويفاضل بينها . واذا كان الاديب او الفنان حرا في ان يختار موضوعه من هذا المجال او ذاك ، فان النقد حر ايضا في أن يناقشه في هذا الاختيار ويفضل جانبا على اخر تبعا لما يحسه من حاجات المجتمع وحياته او من مقتضيات الفن السليم المدرك لتبعاته » .

والايديولوجيا هي العقيدة المتغلغلة في النفس ، والاغلب ان تكون سياسية او مذهبية ، والاغلب كذلك الا يكون الاجماع معقودا عليها، والاغلب أيضا ان تكون مرهونة بوقتها لاتتهيأ لها العناصر الكفيلة باستمرار بقائها وخلودها ما بقي الادب والفن وخلدا . ومعنى هذا ان الناقد الايديولوجي يطبق على اثر خالد مقياسا عارضا ، ويقيس العمل الفني الباقي باعتبارات مذهبية طيارة .

ولو تأملنا نظرية « النقد الايديولوجي » في صميم بنيانها لالفيناها تكييفا جديدا للنظرية التي روج لها بعض النقاد واطلق عليها اسم « الفن للحياة » او « الفن للمجتمع » او « الادب الهادف » او « لادب الملتزم » او « الادب المرتبط » ، وما الى ذلك من التعريفات التي تختلف لفظا وتتفق معنى وجوهرا . صحيح ان الدكتور مندور ابى ان يهدر قيمة الذوق في تقدير العمل الادبي وقيمة النظرة الموضوعية في وزن الخلق الفني ، ولكنه جاء بعنصر ثالث دخيل على الادب ، هو عنصر الايديولوجيا ، وجعله العنصر

---

(١) الصفحة الادبية لجريدة « المساء » ـ ٢٤ ديسمبر ١٩٥٨

(٢) رددنا على هذا القول في كتابنا « قضايا الفكر في الادب المعاصر »

(٣) راجع مقالين للدكتور مندور في جريدة الشعب بتاريخ ٢ نوفمبر و ١٤ ديسمبر ١٩٥٨

فطام ...

انا فطمت حبي
بذرت الحنان في فؤادي
ربيت قلبي
على محبة بعيدة الاماد
كدوحة وارفة الغصون
تظل كل رائح وغادي
يا ليتني يا ايها الربيع لا يصيبني المنون
يا ليت دوحتي تنمو الى الابد
الى الابد ..

.—.

لا تحسبوا ان فؤادي فارغ من الهوى
فلي ككل الناس قصة قديمه ،
وذكريات حلوة ومره
وكل ما في شعركم عرفته ، وذقته،
ومت فيه الف مرة ومره
او فأسألوا عني اهالي حينا ،
عن الفتى الذي يداعب الاطفال في الصباح
وينتقي من بينهم عصفورة فريدة ،
عيونها خضر وشعرها ذهب
ـ عصفورتي يا طفلة الحبيبه
سبحان من وهب !
لكم بحثت عن شبيهة لامك الشقراء
في ارضنا وفي المدائن البعيده
فما وجدتها ، متى اراك غادة حسناء؟
متى يكون لي في موكب الصباح
طفلة فريده ؟
لا تحسبي اني اغار من ابيك
وانما اخاف ان اضيع كالزبد
ولا يفوز الحي منى بولد
يا ليتني يا ايها الربيع لا يصيبني المنون
يا ليت دوحتي تنمو الى الابد
الى الابد ...

وعندما يفيض بي عذابي
افر منكم حاملا معي دموعي
وخشية الخريف في ضلوعي
اقول ما ذنب السنا حتى يرى ظلامي
ما ذنبكم حتى تروا بكائي
خذوا محبتي لكم ، ولي انا شقائي
لانني فطمت حبي
بذرت بذرة الحنان في فوادي
ربيت قلبي
على محبة بعيدة الاماد
كدوحة وارفة الغصون
تظل كل رائح وغادي
يا ليتني يا ايها الربيع لا يصيبني المنون
يا ليت دوحتي تنمو الى الابد
الى الابد ..

القاهرة — **رشدي صادق**

المرجح في النقد والتقييم على خلاف ما أصطلح عليه في النقد من تقديم عناصر الجمال والذوق والطرب على كل ما عداها .

والدكتور مندور يختار لمذهبه الجديد لفظة فضفاضة المعاني ليجعل منها عنوانا للنقد . افليست «الايديولوجية» لفظة عامة تفتقر الى كل تحديد ؟ فاية ايديولوجية هي التي تطبق على العمل الادبي ؟ هل هي ايديولوجية الناقد ، او ايديولوجية المنقود؟ وكيف تستقيم احكام النقاد اذا اختلفوا ايديولوجيا مع المؤلفين والمصنفين ؟ وما هو العاصم من شطط النقاد في ايديولوجياتهم ، ما دام الباب مفتوحا على مصاريعه امام المذهبيات ؟

لا ريب في ان المعيار الايديولوجي معيار «واضح القصور حين يتصل الامر بالنتاج الادبي والفني . ولو طبقنا هذا المعيار على الشعر الوجداني للاخطل الصغير او ابراهيم ناجي او محمود ابي الوفا ، لكان حظهم من الفن والادب صفرا ، لانهم شعراء وجدانيون عاطفيون لم يتمذهبوا بايديولوجية معاصرة ولم يستلهموا مصادر تاريخية او اسطورية او مادية . بينما الواقع الصارم ان بشارة الخوري وابراهيم ناجي ومحمودا ابا الوفا شعراء محلقون في دنى الفن متطاولون في عبقرية النظم وجمال التعبير . وهم شعراء احرار طلقاء يستجيبون للوحي الفني ويترجمون عواطفهم ترجمة صدق ويرعون مباديء الجمال ويبعثون الطرب في النفوس . وهم في هذا امناء على رسالة الادب والفن .

وان جاز التوجيه في اغراض الحياة المادية المختلفة ، فلن يجوز في ميدان الادب والفكر ، ولن يجوز بالتالي في ميدان النقد . فالنقد متمم للادب لا موجه له . ودور الناقد هو دور « المرقم » الذي يرى المعايب في البناء الادبي فيرممها ويجد الصدع فيرأبه . ولكن ليس دوره كدور المهندس الذي يرسم الخطة وينفذها طبقا للقواعد التي تتراءى له . والنقد الايديولوجي نقد موجه ، ما في ذلك ريب ، لانه يتجاهل البناء الادبي كله، ويطالب باعادة البناء على الاسس والمباديء التي يدين بها الناقد دون سواه ، حتى وان انفرد الناقد بمذهب ايديولوجي طاعن في شذوذه وشروده .

ومن رأي الدكتور مندور أن توظيف الادب ضروري وقاية للجمتع من « العبث المحموم والاستشارة الرخيصة» اللذين يروج لهما بعض رجال الادب والفن . والواقع ان تلك المهمة تدخل في باب الاخلاق اكثر مما تدخل في باب النقد الادبي ، ايديولوجيا كان أو غير ايديولوجي . وبدلا من توظيف الادب والنقد وتجنيدهما في خدمة الجماعة ، يحسن ان تطلق للادب والنقد الحرية الكاملة وفي ظل الحرية تنتعش المباديء السامية وتزهق المباديء الدونية المسفة .

القاهرة — **وديع فلسطين**